هتاف الوجدان

سعيد فيّاض

أيها السائل عَني من أنا

عَفُو ربّي إِنْ أَقُل هذا أنا

أنا صدّاح على إيقاعه

رقص النجم وللسمع انحنى

أنا صدق الجاه في الدنيا إذا

نودي الجاه ليعلي موطنا

أنا والتاريخ صنوان ، على

صهوة الفكر أقمنا مجدنا

... أتخطى والمدى هذي الدُّنى

وكلانا خالد يعدو الفنا

غير أني دون أقزام العلى

إن تقس بالشر أمجاد الدنا.

الإهداء

إلى روحي أَبَرٌ خَلق الله بي، وأقربهم إليّ، وأجزلهمْ فَضْلاً عَلِيَّ:

أمي وأبي.

أهدي هذا الديوان الشعري المتواضع أمام عطائهما الوافر، وإحسانهما المتواتر، عرفانًا لجميلهما الأكبر من طاقتي كامل عرفانه وتمام تبيانه، ضارعاً للعلي القدير، ملتمسًا لهما الرحمة والمغفرة وحسن الثواب، ومقامًا محمودًا مع المؤمنين الذين رضي عنهم ورضوا عنه، إنَّه نعم المولى السميع المجيب.

صاحب الديوان

بسم الله الرحمن الرحيم

قارني العزيز

بين ما نريده، ولا يتأتّى لنا تحقيقه، وبين ما يُراد لنا ويتحقق، تبرز قُوَّة القضاء والقَدرِ، بكُلِّ ما فيها من طاقة الهَيْمَنَةِ على المخلوق، لتفتح عيوننا على نقاط الضعف الموجودة فينا، والتي نحاول إخفاءها بحجة النسيان أو عدم الاهتمام حيناً، وبتغيير الرأي، أو بالنظر إلى الأمور رغم تباينها، بِعَينِ نُوحي لها ما يَفْرِضُ عليها الإزورار عن الحقائق أحياناً أخرى .

وَحْدَهُمُ المُؤْمِنونَ، يَعترِفُونَ بِضَعْفِهِمْ، أَمامَ قضاء الله وقَدَرِه، ويتقبلون مشيئة الخالقِ الغَلَّابِ بالرِّضاء والشكر، والابتهال إليه، التماساً لِفَضْلِهِ ولُطْفِه في ما كَتَبَ لَهُم وعَليهِم أَن يَفْعَلُوه أو يُلاقوه..

ومن هذا المُنطَلَقِ الذي يُسعدني الاعتراف بصحته وُجُوداً وفريضة، وتَقَبَّلاً كاملاً بما قدّر لي، وبما عَلَيَّ إزاءه، أسارع وأتقدَّمُ إليك باعتذاري عما في هذا الديوان الشجي من معاناة قد تشجيك، وما أَرَدْتُ لو كان لي الخيار، أنْ أُضِيفَ هموماً إلى ما تكابده في عصر الظُّلُمات من الأشجان...

وكم كنتُ أتمنَّى زَرْعَ ابتسامةٍ ثَرَّةِ الأحلام المُورَّدَةِ على مَد خيالك، تَمْتَدُّ بامتداد ما يروق لك قراءته من شعر هُوَ في الواقع، يَوْحُ جنان وهتاف وجدان، أكثرَ نَما هُوَ حُداءُ لِسَانٍ وسلاسَةُ أَلْحان وبلاغَةُ بيان أو براعة فنان.

غير أن ما أتمناه هو أكبر من طاقتي، لأنني لا أسيغ تزوير انفعالاتي، ولا أطيق تكليف نَفْسي فوق وُسْعِها، كَأَنْ يُفْرِحُها احتراق وَطنٍ حُبُّهُ مِن الإيمان، ويُسعِدُها اغتراب تَسْتَوِي لديها فيه الظُّلَمَةُ والنور، الحقيقة والزور، والفضائل والشرور، وهي لاهية عن كُلِّ هذه المآسي بما تجتدي فيه إرضاء غُرور، أو إعجاب قارىء .

وكيف أَعْفَلُ عن طَلَبِ عُذرِك، وأنت صديق المدى الذي رَجّيْتُه، والهدف الذي أَغْلَيتُه، وثَراء الوجود الذي تمنيته، لولاك ما غَمَسْتُ يراعي في مدادٍ مَحاجِري مَحابِرُه، ومَشاعري مَجَامِرُه، وآهاتي منابره، ومن القلب إلى القلب مَصادِرُه ومَعابِرُه؟!

فَهَلْ يَتَّسِعُ وَقْتُكَ واهتمامك لِمَعرفة ما أفهم عن ماهية الشعر؟ ومهما يكن الأمر، فإن أملي فيك هو على قَدْرِ ثقتي في وعيك، وإنها الأكبر من حاجتها إلى التبيين:

إنَّ الشعر كما أفهم، هو باقة مختارة من كلمات مضيئة الجوانب رَشِيقَةِ اللّفظِ لَمَّاحةِ الدَّلالة ، تَنْظِمُها المَوهِبَةُ فِي عَقدِ مُتَوازن النغم يختارها الخيال ويصقلها الإحساس، مَصْدَرُها العاطفة ومَعْبَرُها الوجدان، تنطقها المعاناة وتخرسها اللامبالاة، تثريها الثقافة ويُطوّعها المراس، مَلْعَبُها الفَسيحُ التَّخَيلُ وساحتها المحدودة الواقع، قريبة مغانيها من شذو العنادل وشَذو الأزاهر ونضارة الخمائل، ضوابط حداثها في تَناسُقِ التَّفْعِيل، وشروط احتوائها في جودة التعامل والتفاعل، وسبيل خُلُودِها استجابتها للحفظ والتداول وأكبر الفوارق بينها وبين كلمات النثر، وَزْن بين الحس والسمع معدود، وتطريب منشود، وجديدٌ في تَخَيَّل لا محدود بينما لا يلتزم النثر بهذه الميزات، وإن كان يحفل بشيء منها، عندما يُراد فيه القُرْب من ملاعب الفن والعاطفة، أمام الانفعال الوجداني، بعيداً عن البحث والتاريخ والتحليل ...

والشعر الحق، هو سمير الوجدان وخميلة الجنان، إذا قرأته هزّك وسباك، وإذا سمعته أحسست أنه عناك، وإذا استزدته دلالة أسعدك أو أَشْجَاك، فإذا شاقكَ حِفْظُهُ استلان لك وما عصاك .

وأما بحوره وتفعيلاته المعروفة، فهي وإن تكن أفضل قياس سَمَاعِي مَقْبُول غير محلول، لا تَفْرِضُ على الشاعر الجمود والعقم في التجديد، إلا أنها تَظَلُّ نقطة الارتكاز، ومنطلق المحاولة الواعية، لاستحداث أوزان لها من عبقرية الموهبة أهلية التجديد، وعليها أمام قداسة الوفاء لأصالة التراث، واجب الانضباط الفني ونبذ الانحراف والتحريف . .

وليس طول القصيدة أو قِصْرُها عامل توكيد أو نفي للشاعرية، ما دام النغم قائماً ، والوَزْنُ التَّفْعِيلي مُتلائماً، والصورة الفنية حافلة بما سبق ذكره من مقومات الشعر ...

قارني العزيز

أَحْسَبُنِي اسْتَنْفدْتُ نَصِيبي الوَافِرَ من سعة صدرك، ولا أخشى ضِيقَكَ بما قدمت لهذه المجموعة، لأني واثق من كوني أخاطب فيك القلب والعقل معاً، عرضتُ أحاسيسي ومُعاناتي بكل صدق وعَفْوِيَّة، دونما تخفُ بين الرموز لأنَّكَ الصديق الوحيد الذي يُفْرِحني رضاؤه، ويُشجيني إلواؤه، ولولا ثقتي بوعيه لما أَسْهَبْتُ فِي مَكَانٍ وَاختَصَرْتُ في آخر .

وإذا كان لي ثَمَّةَ رغبة أو رجاء، فإنَّني أرجو أن تتسامح في استطالة شجوي وبُلُوغِهِ حُدود اليأس من المجتمعات البشرية، التي مهما تباينت أمصارُها، تبقى روابط الغريزة أقوى تأثيراً عليها من الفروق الهائلة بين عِلْمٍ وَصْفُهُ يُعْجِزُ البيان، وبينَ جَهْلٍ لا يَرْتَفِع، إذا لَمْ يهبط، عن غريزة الحيوان .

غير أَنَّ المُؤْلِمَ المُثِيرَ لِكَوامِنِ الشَّجَنِ، هو أن نَجِدَ بين ارتفاع علمي، وبين انخفاض خُلُقي في المُجْتَمَعاتِ المُثَقَّفَة، نِسْبَةً مُسَاوِيَةٌ إذا لَمْ تَزِدْ – لما في المُجْتَمَعاتِ البدائية الجاهلة، من الشرور والضياع في متاهات المفاسد والضلال.

لقد زادت المَعْرِفَةُ وازدادَ مَعَها الغَيّ، وَوَصَلَ العَقْلُ إلى القَمَرِ والنجوم باكتشافاته المُذهلة، وانحط الخُلُقُ إلى قِيعَانِ الرَّذيلة والأهواء الصغرى وفي هذه المُفارَقَةِ الكُبرى، تكبر المعاناة !

قارئي العزيز

لقد كان ما قرأته حتى الآن من هذه المقدمة هو القسم الذي تصدر الجزء الأول من هتاف الوجدان المطبوع قبل عشرة أعوام ؛ فماذا تراني أزيد على ما قلته سوى الاعتذار عن عدم الجمع بين الجزءين حينها ، فقدرة الإنسان على تحقيق ما يشاء مرهونة بالظروف، والمرء لا يملك دائماً كل ظروفه لأن هنالك إرادة عظمى تحكمه وتتحكم في مساره وذلك عن طريق الإيحاء العاطفي أو النفسي أو المادي . فإذا كان القسم الأول من قصائد هذا الديوان يُمثل معاناة إنسانية عشتها أو عاينتها فالقسم الثاني يعبر في معظمه عن إحساسي بأوجاع أمة إليها انتسب وبها أتفاعل، ولها أكتب، وبصدقي في ولائي لها أجد نفسي. كيف لا أتأثر بها وهي معنى قلبي وواحة أحلامي ودنيا تأملاتي. أفراحها تفرحني وشجاها يشجيني. أنا منها ولها أبقى على حبها ما حييت وإذا ما أضواني الشعور بالغربة أنّى اتجهتُ فهذا مَرَدُّه إلى الشقة البعيدة بين رفاق الطفولة ومدارج الصبا التي فيها نشأتُ وتَرَعْرَعْتُ . أما الشعور الوطني فيلازمني أينما كنتُ لأن الوطن الصغير الذي أبعدتني عنه مستلزمات العيش الكريم ثم الحرب المدمرة التي عصفت بأرجائه هو جزء من الوطن الكبير والإنتماء إلى الجزء يعني الإنتماء إلى الكل ....

غير أن ما ألفت إليه نظر القارىء الكريم هو أن تكرار المعاني الشعرية في القصائد الوطنية ليس وليد العجز عن الإبداع أو الرغبة في اجترار مقولات سلفت بل هو التفاعل مع آلام أمتي وخيبات

آمالها المتكررة وحالها المتردية مما لا يدع لي مجالاً لتغيير مسار شعري الوطني. فأنا حين أتغنى بأمّتي أجدني أتأوه في كل قصائدي، وآهاتي مجامر يضرّمها داء الخلف المستشري في أوصالها في تطاول يجعلها هزيلة بعد أن كانت في حقب ذهبية من تاريخها أمة قوية قادرة تمتلك مقدراتها، تحكم ذاتها بذاتها، وتفرض حضارتها على غيرها من الأمم.

وإني يا صديق المدى أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يوفقني لأضم إلى هذين القسمين الجزء الثالث من "هتاف الوجدان" بحيث أضمّنه ما لم يتسنّ لي إلى اليوم جمعه من الشعر الوطني والإخوانيّات وغيرها ... والله المستعان.

سعيد ابراهيم فيّاض

نزيل ابن سليمان

المملكة المغربية

مختارات من قصائد الجزء الأول

من وحي الصداقة ؟!

أَي وُدٍّ فِي صُحْبَةٍ أو تآخ

إِنْ يَدُوما ما دامَتِ السَّراءُ؟

والصَّداقاتُ، أَيَّ شَيْءٍ تُساوِي

إِنْ تَطَلْ ما استبين فيها العطاء؟

نَحْنُ في عالَم يَتِيم بهِ الصِّدْقُ

وفي ساحـه أقـام الريـاء

فالإبا والوفاء والعَهْدُ والرُّفْقُ

وحِلْمُ القوي، والنعماء

والبواقي من الخلال اللواتي

تتبارى في حَمْلها الأسماء

أمنيات ركابها الوَهْمُ والزَّهْرُ

وَفُرْسانُها الرغاب الوضاء

نَتَسَلَّى بها سَماعاً وقَوْلاً

وتُغالي في وصفها الأهواء

هي مثل السَّرابِ يَخْدَعُ في البُعْدِ

وفي قُرْبِهِ يَخيب الرجاء

فَالصَّدِيقُ الصَّدُوقُ حُلْمٌ، إذا بانَ ...

تَبِينُ الغِيْلانُ والعَنْقاءُ !!!

جدة ١٩٧٢م

قناعة ؟!

لا يَسْلَمُ الإنْسانُ مِن كاره

حَتَّى وَلَوْ عاش الهدى والصواب

ولا يرى السَّرَّاءَ في عُمْرِهِ

إِلَّا وميضاً خادعاً كالسراب

فاصبر، ولا تَجْزَعُ إِذا أَمْطَرَتْ

دُنْياكَ هَماً عاصفاً في العذاب

واقْنَعْ مِنَ النُّعمى بِسَدُ الطَّوَى

فَكُلُّ شَيْءٍ آيل للتراب

وادْفَعْ هَوَى النَّفْسِ وطُغْيَانَهُ

تَنْعَمْ بِعَيْشِ هَانِئ مُسْتَطَابُ

وابعد عَنِ النَّاسِ وضَوْضَائِهِمْ

وَاسْتَبْدِلِ اللَّغْوَ بِصَمْتِ الكِتاب

فَفِي الكِتابِ العَقْلُ مُحْضَوْضِلٌ

تُبْصِرُ فِيهِ مَا تَبَدَّى وَعَابُ

يُعْطِيكَ كُلَّ الحَقِّ فِي حَمْلِهِ

أو تَرْكِهِ، لَا لَوْمَةٌ أَو عِتاب

صَوتُ النُّهى في صَمْتِهِ نَاطِقٌ

وفي حَدِيثِ النَّاسِ ظُفْرٌ وَنابٌ !

لندن ١٩٧٩م

خمرة الحب

غَنْ شَعْرَ الهُيامِ قَبْلَ الغياب

يا حبيبي، وَدَعْ أغاني العذاب

فَبِعَيْنَيْكَ مَوْجَةٌ من لَهِيبٍ

صَهَرَتْ ثَوْرَةَ الجَوى في العبابِ

وعلى وَجْنَتَيْكَ مِن نُضْرَةِ الوَرْدِ ..

رُواءٌ لِصَبْوة، لا تصابي

والحداء المَوَّار في تَغْرِكَ الحلو ...

يُعِيدُ الصبا لِمَيْتِ الرِّغابِ

فَخُذِ الكَأْسَ مَن يَدَيْنِ حَنُونَيْنِ ...

ففِيهَا سُلَافُ خَمْرٍ شَبَابِي

واتَّئِدْ بارتشافِ خَمْرَةِ حُبِّي

إِنَّ رُوحِي مُنْبَثةٌ في شرابي

وإذا ما أَرَدْتَ سَمْعاً مَشُوقاً

لحديث العشاق والأحباب

فَأَعِدني .. إذا اسْتَطَعْتَ . . لأمْسِي

وَاسْتَعِدْ عُنْفُوانَ غَضّ الإهَابِ !!

لندن ١٩٨٣م

غربة

غرْبةُ المَرْءِ غربة العقل لا الجسم

.... لأن العُقُولَ مُخْتَلِفاتُ ..

بعضها حائم على وهُدَةِ الجَهْلِ

وبَعْضُ مداره النيرات

واغتراب العُقُولِ أَعْمَقُ جُرْحاً

من نصال جراحها داميات

بينما الجِسْمُ ، أَيْنَمَا كَانَ يلقى

ما بِهِ يَكْتَسِي ومَا يَقْتاتُ

ولهذا يَلْتَاعُ في الوَحْدَةِ الطير

وتُشْجِي صُدَاحَهُ العَبَراتُ

رَغْمَ جو الأمان والدفء والري

... وطُعْمِ مَذاقُهُ الطَّيِّبَاتُ

فإذا ما غدا طَلِيْقَ الجَناحَيْنِ

وَساغتْ تَغْرِيدَهُ النَّسْمَاتُ

والتقى بالرَّدِيفِ من غَرِدِ الطَّيرِ

وهاجَتْ مَثِيْلَها النَّعْمَاتُ

أَرْقَصَ الجَوّ والخمائِلَ بالسَّجْعِ

وأَصْغَى إِلَيْهِ حَتَّى الرُّفَاتُ

وأطال التطرِيْبَ دَونَ مَلالٍ

أو فُتُورٍ؛ وبانَ عَنْهُ السُّباتُ

حَسْبُهُ رِقَّةُ المَشاعِرِ والسَّمْعِ

وَتَغْذوهُ قَطْرَةٌ وَفُتاتُ

وإذا لم يَجِدُ مَكاناً يُؤاوِيْهِ

فَيَكْفِيهِ لِلْمَبِيْتِ حَصَاةُ !!!

لبنان ١٩٦٣م

مهزوم ؟!

هزمتني الدنيا وكل سليم

القلب والراح أمنه مهزوم

ونماني للجبن أهل وصحب

واستطابوا غبني فسر الخصيم

وعداني الدفاع عن كل حق

سامني الخسف فيه عادٍ ظَلُومٌ

وشجاني عجزي عن الرد بالمثل

فطال الباغي وعز اللئيم

وتحاشيت لائمي على الصمت

وصمتُ الضعيف دوماً ملوم

فَلَقِيتُ الحَسود حتى على الصمت

وباتت تقض عُمري الهموم

وتفرّست بالوجوه حوالي

فغاب الزاهي وبان الدميم

والتَمَسْتُ الشُّعور وَهمًا يَقِينِي

ضَرَماً هالني لظاه الأليم

فإذا بي حتّى أمَامَ شُعوري

جسد خائر وعزم حطيم

حائر الفِكْرِ تائه الخَطْوِ ضَلَّتْ

أمنياتي وازورَّ عني النعيم

لكأني الجاني على الإنس

والجن وقد حاطني عَذَابٌ مُقيم

فتَوالَتْ هَزائمي دون وقف

واسْتَرَق الدنيا عتل زنيم

رمضان ؟!

رمضان يا مَفَازَة الضمير

بالأمن والفلاح والطهور

يا واحة اليقين في نفوس

ترجو رضاء البارئ القدير

يا زارع البهجة في قُلُوبِ

صادية للنّور والحبور ...

يا هاتف الرَّاحَةِ من ذُنُوبِ

يُشْفِقُ مِنْها ناصع الضمير

يا هازم العَتمَةِ من دُرُوبٍ

ضاق بها المُدْلِج في المسير

يا داعم الرَّجاءِ والأماني

في رَحْمَةِ المُهَيْمِنِ الغَفُورِ

يا وازع النَّاسِ عَنِ المَعاصِي

في زَمَنِ الإغواء والشَّرُورِ

يا ناقِلَ الخَطْوِ مِنَ الدَّياجي

إلى مقاصير الهدى الأثير

يا راحِمَ الوِجْدانِ في شُعُورٍ

يَخافُ إِثْمَ التائِهِ الضَّرِيرِ

يا واهِبَ الصَّائِمِ في العشايا

هَنَاءَةٌ تَمُورُ في الصُّدُورِ

يا هِبَةً مِنَ مَصْدَرِ العَطايا

سائغة النَّمير والعبير

تُورِفُ أَمْناً في المسا.. وتَنْدى

سَعادَةً تُشْرِقُ في البكور !!!

لندن ١٩٨٢م

لو يذكر النَّاسِ ؟!

لو يذكرُ النَّاسُ أَنَّ التُّرْبَ آخِرَةٌ

لِعَيْشِهِمْ بَعْدَ إِذْ مِن طِيْنِهِ بُرِئوا

لمَا تَنَكَّرَ مَخلُوقٌ لخَالِقِهِ

ولا أُخِيْفَ بِظُفْرٍ جَارِحٍ رَشَأ

فما الطَّواغِيتُ إِلَّا كالرَّمادِ غَداً

يُذْرى، وباق على الأَيَّامِ ما وَطِئُوا

أغراهُمُ البَأْسُ فَانْسَاقُوا بِلا رَشَدٍ

نَحْوَ الضَّلَالَةِ لَا يُرْوَى لَهُمْ ظَمَأُ

وآنسُوا فِي مُناخ الظُّلْمِ رَاحَتَهُمْ

فَاسْتَعْذَبُوهُ وفي ساحاتِهِ اتَّكَأُوا

ساءَ المَصِيرُ وبِئْسَ الفِعْلُ ! لو عَقَلُوا

كَانُوا إِلى اللهِ فِي مَرْضَاتِهِ لَجَأُوا

فهي الأمان وفيها العَفْوُ مُنتَجَعٌ

لِمَنْ على طَاعَةِ الرَّحمن قد نشأوا!!!

لندن ١٩٧٧م

مختارات من الجزء الثاني

.... بعد سبعين من سنين توالت

بينَ وَمُضِ المُنى وَلَمعَ السَّراب

لذتُ بالصمت قانعًا بجراح

قانيات أنزفت فيها شبابي

علّها مِرقمي مدادًا فباتت

في هتاف الوجدان شجو عذاب

فارتقت غربتي هواجس نفس

آنست صفوها بغيب صحابي

لكأن ارتقاءها هَوْلَ صَمتي

وشجى وحدتي وَذُلَّ اغترابي

دون ما واجهت جحوداً وعقًّا

وانهزاما وعثرة في الصواب

فإذا ما تأمل الشعر واع

زَفَرَاتِ الوجدان أدرك ما بي!

سموت عن الأحقاد ؟!

.. سَمَوْتُ عن الأحقاد .. شأني منزّها

عن الشر، بين الأمس واليوم والغد

وما أنا والعُذّالُ إلَّا كَهالة

مِن النُّورِ ، حَلَّتْ فِي رُؤى طَرفٍ أَرمَدِ

أسامحهم ، إمَّا غَلَوا فِي مَلامَتي

وأعذرُهُمْ، إن يجهلوا نبل محتدي

فإني، جوّدت التسامح والندى

وشأني وأهلي، مثل شَأْني وحُسّدي!

لا يُصْلِحُ العِلْمُ مَخْلُوقاً نماهُ إلى

قَمَاءَةِ الذَّاتِ أَصْلَابٌ وأَرْحَامُ

فآسن الماء لا تَصْفُو مَشَارِبُهُ

حتَّى وَلَوْ حَفَّهُ عِطْرٌ وَأَنْعَامُ.

١٩٨٩م

وسام

أهدت الحكومة شاعراً لبنانياً كبيراً وسام الاستحقاق تقديراً لأدبه، رغم علمها بحاجته الملحّة إلى غير ذلك التعبير عن شعور التقدير .... فكانت هذه الأبيات.

يا أخا الشعر في خمائل لبنان

ولحن الإبداع في تصداحه

يا ارتعاش الأضواء في مقلة الفن

ومعنى الحرمان في أفراحه

هل يقيك – الوسام – لفح سموم

في زمان مدجّج برياحه ؟

.. لا ، وربّي ... وإنما ألهيات

هي في الجدّ.. نافل من مزاجه !

هو شأن الأديب، يحبو الدجُنّات

ضياء... مُلوّناً بسماحه

يطأ النجم . فالسماء بساط

يتدنّى ... كَأَنَّهُ بَعضُ ساحه

يسكر الكون . من خمور أغانيه

ويزهو النَّوال في أقداحه

وإذا ما أراد رشفة صادٍ

لَفَّهُ الدَّهْرُ في غَشُومِ جماحه.

لبنان ١٩٥٤

الشعاع الساري ؟

لاحَتْ أمامي كشُعَاعِ سَرَى

والطيب حاذى ظلها في السُّرى

وشَعْرُهَا الحَانِي على جيدِها

ساج كأحلام الصبا في الكرى

فانهلّ منها أَلْفُ طَيْفٍ وفي

كُلُّ أَراقَ الحُسْنُ، ما أسكرا

حتَّى إذا حاولتُ تَطويقها

كي لا يُناجيها غوٍ في الورى

واذ بكُلّي هائِمٌ خَلْفَها

لا عائقاً أَخْشَى ولا مَعْذَرا

حتَّى إذا حاذَيْتُها خُطْوَةً

تلقَّتَتْ في وَجَلٍ مُفْتَرى

وحاولت صدّي فلم تستطع

فاختلجت من غير أن تنظرا

واحتدم الشَّوْق بأنفاسها

ولم تَخَفْ مِنْيَ مَا يُزْدَرَى .

فَأَسْفَرَتْ عَن ثَغْرِها هَمسَةٌ

أَفْصَحُ مِمَّنْ يُنطِقُ المِنْبرا

فاحتضنتها قبلَةٌ هَوَّمَتْ

فوقَ شِفَاه تَقْطُرُ السُكّرا.

المغرب – ١٩٨٨م

عبدتك يا ربي

عَبَدتُكَ يا رَبّي جِهاراً وخُفْيَةً

فَأَنْتَ الَّذِي يُرْجَى وَيُخْشَى وَيُعْبَدُ

وما سَاغَ قَلْبِي غَيْرَ مَرضَاتِكَ الَّتي

بها أتّقي جَهْلًا بدُنْياي يُزبدُ

وفي عَفُوكَ المَرْجُو خَيْرُ مَغَانِمي

وأَجْزَلُ ما أَصْبو إليه وأَرْفَدُ

وها أنا يا ربي يحلمك لائذ

وَيَرْجُوكَ فِي الْأَمْسُ واليَوْمُ والغَدُ

وما خَابَ مَنْ يَعْتَافُ رَحْمَةَ خَالِقٍ

له كل ما في الكُونِ مُلْكٌ وَسَرْمَدُ .

المغرب . ١٩٨٧

أجمل ما في الحب

قلت لها لَمْ تَصْدُقيني الهوى

وَلَمْ تَخَافِي لومة أو عتاب

فَائتَلَقَتْ فِي ثَغْرِها بَسْمَةٌ

سَادِرَةٌ أُخْرِسَ فِيها الجواب

لكنها سرعان ما أرْدَفَتْ

قائلةً في خَفَرِ المُسْتَرابُ

أَجْمَلُ مَا في الحُبِّ تَهْوِيمُهُ

ما بَيْنَ إِشْرَاقِ المُنى والسَّراب

المغرب ، ١٩٨٩م

أحبك حتى...

أحِبُّكِ حَتَّى لو تَصَرَّمَ عُمْرُنا

ونحنُ عَلَى قُرْبٍ بَعِيدَانِ عَنْ وَصْلِ

وأَهْواكِ حَتَّى لو لَقِيتُ مَتاعِباً

يَنُوءُ بِها غَيْرِي وَيَهْنَا بِهَا مِثْلِي

فَأَنْتِ مَطَافُ القَلْبِ والسَّمْعِ والرُّؤى

ودَرْبُكَ دَرْبي في الخيال وفي الفِعْلِ

فَإِنْ تَتَوَلَّيْ أَو تُرَدِّي الهَوى جَوىً

سَتَبقَيْنَ مَغْنى الحُلْمِ والحس والعقل .

فريبورغ ، سويسره ١٩٨٦م

الأمنية البعيدة

لو كان لي خيرة ما أشتهي

في عالم ينخر فيه العداء

لما تَمَنَّيْتُ سوى سُؤدَد

للحب والأمن بظل الرخاء

فالكرهُ يُؤْذِيني وإن فاتنِي

مِنْهُ اقتراب أو عداني بلاء

والحُبُّ يعنيني وإن لم أنل

منه سوى لَمْحِ شُعَاعٍ مُضَاءً.

١٩٩٠م

وطني ..

وطني ... يا نغَم النصر بأسماع الخلود

يا رُواءَ المَجْدِ، وَضَّاءَ السنى عالي البنود

كَمْ سَعَى الفَخْرُ إلَيْكَ ... وتأنّى

جَاثِياً بين يديكَ .. مُطْمَئِنا

وهمى الفَضْلُ عَليكَ ... يَتَعَنَّى

بِنَشيد، لوَّنَتْهُ خُضْرَةُ المجد التليد

بالدَّمِ المُخْضَلُ بالإيمَانِ فِي صَدْرِ الجُدُودِ

*

وَطَنِي، يا دَفْقَةَ الطَّيبِ بِأَكْوابِ الفَخَارِ

يا ائتلاقَ النور والأضواء في ثغْرِ الدراري

ينشر الطهر ... على الدنيا ... نديّا

ثم يحبو الكون ... نوراً سرمديّا

فيرينا كيف تذكيه الحميّا

لهباً في العزم ... مثبوب الأوار

ينشر العزة ... في أغلى الديار!

*

وطني نَحْنُ وَرِثْنا البأس عن أهل الذّمام

ونَذَرْنا نَفْسَنا للذود عن إرث الكرام

فاتّخذنا العزم... تُرْساً وفرندا

واستعرنا .. من لظى القُوَّةِ زَنْدا

ونَسَجنا من خُيوط الصبر ... بُردا

وترامينا ... جماعات ... على الموتِ الزُّؤَامِ

فانْتَصَرْنا، وغفا الموت، وأُبْنا في سلام!

لبنان ١٩٥٣م